غزة.. لم تكن يوماً قضية.. فلسطين هي القضية

الخطيب: لا كنتُ نسل عروبتي.. إن كنتُ أنساكِ!!

جاء في توراتهم: فصعد الشعب إلى المدينة.. وقتلوا جميع من فيها من رجل.. وامرأة.. وطفل.. وشيخ

الوطن

يتنادى الناس اليوم للوم والحديث عن المشكلات ومسبباتها والحرب ومن بدأها، ويحصرون الأمر في غزة وحدها، وبمن قام بالمقاومة فيها، ويتجاهل هؤلاء أن غزة اليوم ليست هي قضية العرب، وإنما قضية العرب هي فلسطين كلها، وأن الحرب أساسها هذا الاحتلال الاستيطاني الذي نشأ على القتل والتدمير الممنهج.

ولعلنا لو عدنا إلى أدبياتنا لوجدنا الكثير مما يصحح البوصلة إلى فلسطين كلها.. وهاهو الشاعر الكبير يوسف الخطيب يظهر في تقديمه لشعره الإرهابِ ومصدره، ويظهر الأثر الخطير لمصدره بلغة أدبية واضحة:

مفهوم الإرهاب والشعب المختار

فإن قال بعضهم إن العدل.. والظلم مفهومان نسبيان، لا يتفق عليهما اثنان.. فلعلي هنا من أكثر خلق الله إدراكاً لاحتمال أن تحمل «الحقيقة» الواحدة ألف وجه مختلف.. ولكنني أدرك في الوقت نفسه وبالقدر نفسه أن «الحق» ليس له إلا وجهٌ الواحد الأحد!!.

و«الحق» هنا هو أن الله قد جَبَل سلصالة أبائي وأجدادي من تراب هذه الأرض، فلسطين، قبل ألوف السنين من ظهور أي حضارات بشرية تدعي أن لها إلهاً ودَيناً، خرافياً، وخُرافاً معاً، قد حَضَها وحرّها على انتزاع هذا الوطن الذي امتلكتْه وشعبي منذ فجر الخليقة، وشق لها طريق الحرب والرعب للقضاء على جميع «الأغيار» من فلسطينيين، وعربية العربية!!.

فلأجل أن تعلم النشأة الأولى تماماً لمفهوم «الإرهاب» الشيطاني هذا الذي لا تنفك تضج به طاحونة الدعاية «الصهيوأمريكية» الفاجرة ضد شعبنا الأعزل، وحتى ضد رماة الحجارة من أطفاله الأبرياء، فإن علينا أن نتجه أولاً وقبل أي مرجعية أخرى، إلى خطاب هذا الإله الخرافي، الخرف، لشعبه اليهودي الدموي،«وبالنصين العربي، والإنكليزي- بمعزى خاص- في قلب التوراة الأسود».

«سأرسل إرهابي أمامك، وأنشر الذعر في جميع الشعوب التي تغزو بلادها، وسأجعل جميع أعدائك ينقلبون مدبرين!!.»

(سفر الخروج-٢٣/ ٢٣)

ثم يمثل هذا «الإرهاب الديني المقدس!!» عند أتباع الديانة اليهودية سنرى إلى قائدهم العسكري «يوشع بن نون» قبل نيف وثلاثة آلاف سنة، وهو يحتل بلده أريحا الفلسطينية بمستوى من الوحشية يندى له خجلاً جبينُ أدولف هتلر، حتى يزعم محرقة «الهولوكوست»:

«فصعد الشعب إلى المدينة، وقتلوا جميع من فيها من رجل، وامرأة، وطفل، وشيخ، حتى البقر، والغنم، والحمير، بحد السيف (!!)».

(سفر يشوع-٦/ ٢٠-٢٤)

وأخيراً وليس آخر.. سنرى هذا الإله- الخرافي بطبيعة الحال- ولكنه الذي يستوطن النفس اليهودية حتى أعماقها، وهو يتحول الآن من خطاب «الترهيب» لجميع الآخرين من غير اليهودية.. إلى خطاب «الترغيب» لأتباعه اليهود أنفسهم، بما ستسفر عنه حروبهم «الإرهابية» خلف قيادته من غنائم واستلابات لا يقع مثلها إلا في أخيلة الشياطين.. أو كما هو عليه واقع الحال اليهودي الاحتلالي الراهن في فلسطين!!..

من بديع الصور

ومن الصور التي لا تنسى تلك الصياغة المميزة صورة فلسطين التي تسكن في جوهره وجوهر كل فلسطيني لتؤكد بأن فلسطين هي القضية والباقية والحلم المشتهى.

العندليب المهاجر

لو قشةٌ مما يرف ببيدر البلدِ

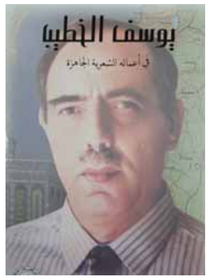

خبأتها بين الجناح، وخفقة الكيد
لو رملتان من المثلث، أو رُبى صفدِ
لو عشبة بيد.. ومزقة سوسن بيد
أين الهدايا مُدّ برحت مرابع الرعْدِ
أم جئت مثلي، بالحنين وسورة الكمدِ؟!

•••

عهدي بدار طفولتي فردوس أحلام
الشعر بعض ربيعها المفتوح النامي
وعلى دواليها ترنم ألف خيّام
أنشودةٌ مجهولة المعنى من الإلهام
من ناي راعية، ومن أجراس أغنام
وحفيف غابٍ واختلاجة جدولٍ هامِ

•••

عهدي بدار طفولتي سرحية الصور
مغسولة الربوات في شلالة القمر
أوّاه، كم أمسية عربية السمر
كانت لنا في كل رابية، ومنحدر
كم سرحة عند الأصيل، ويقظة السحرِ
بسلالتا مُلء الربى، ومسارب الشجرِ

•••

ماذا رحيلك أيها المتشرد الباكي
عن أرض غابات الخيال، وفوحها الزاكي
أم أن مرج الزهر أصبح قفر أشواكِ
وتلونت أنهارها بنجيع سفّاكِ؟!
داري، وفي عينيّ والشفتين نجواك
لا كنتُ نسل عروبتي، إن كنتُ أنساكِ!!
قسماً بكل غريبة المنفى، ومغترب
باللاجئين على مرامي أعين الشهب
سأظل أحرق شمعتي، وأذوب في لهبي
وأزفهم كأسي، وأحيا العمر في سَغَبِ
سأظل أدفع قارِبي في الصاخب اللجبِ
حتى أظل به على دوامة الحقبِ

وخزة قلب فلسطين

ومن شعر الخطيب ذائع الصيت تلك التي صدح بها في دمشق وكانت مثيرة بإبداعها ومضمونها وشعريتها.

رأيت الله في غزة

حليبك في دم الشهداء ساقيةٌ
تهيم على جهات الأرض
ثم تصب في بحرك..
حليبك خمر دالية
يَعُبُّ كؤوسها الندمانُ
ثم يكون من دمهم طلى ثغرك..
حليبك غيمةٌ بيضاء
تشرب منك لون الجرح
ثم تغوص في صدرك..
وليلة أن برحتك ضعتْ في الأحقاف
أشرُدُ عنك.. في إثرك..
وعدتك عند بستان القيامة
أسرجي فرسَ الصباحِ
وجئتُ الدنيا على قبرك..
هبي أن النجوم توارت الليله
فتلك تضيء فيك بنادق الثوار..
هُبي أن شحّ منك الزيتُ في الشعله
فتلك صدورهم دَفقت نبيذ النار..
لأنك أنتِ- في واحدٍ-
هي البستان، والندمان، والخمره..
لأن جبينك المارد
هو الثوار، والثوره..
وقلبك وردةٌ مشكوكةٌ في الرمح
وهو على أكفّ غُزاته جمره..
وأنت الآنَ مكةُ كل قافلة
وغار حراء كلّ نَبيّ
وأنتِ الآنَ طيرُ البعثْ
يهبط معبد اللهب
يحط قتام هذا الليل
ينفخ في قراب السيفِ
روحَ الحرف
بين قبائل العربِ..
وأنت الآنَ أمتهْ
وأنت حليفةُ حلمي الحرة..
وبوحكِ صار جبريل القصيدِ
وسُورة الشعراء..
وجرحكِ صار مائدة المسيح
وزَمزم الشهداء..
وأعلم أن فوق الطُّور،
من خشبي، ومسماري
سأصعد فيكِ جلجلتي
وبعدُ، يكونني الإنسانْ..
فخَلّي بيننا وعداً..
خلالَ الليلِ والبستان..
وجزي خصلةً، من فوق خدك
نار تذكار
ولو أني نسيت إليك ما النسيان...
وهاتي قبلةً لفمي
وهاك دمي
على شفتيك
لون شقيقة النعمان..
لأني فيك غصنٌ غيابة الجُبِّ
وأصعد فيكِ طور الحزن، والحبِّ
وها أجراس قافلة
تجيء إليّ عبر سفوح جُلعاد
فسوفَ أشيد مئذنتي
على بوابة السلطان
وأقرأ فيكِ، أدعيتي، وأورادي
وأنشدُ فيكِ إنشادي:
«أحبّ حبيبتي.. يا ليلُ..
«خُذ بوحي وأسراري
«وتحت ربيع شُرفتها
«فتحتُ جروحَ قيثاري
«فناد عليّ كلّ الحي
«من عَسَس وسُمار
«يظل لدي.. قبل الموت..
«قبل البعث..
«عمر فراشة النار..
«وعمر قصيدة تتلى
«وأدعية
«وعمرٌ عناقٌ..
«وعندئذ يشيّعُ المدينة
«أن وصلَ اثنين
«كان فراقٌ!!
حليبك في دم الشهداء.. منك.. إليك
أنت وهمُ خلوصُ البحر في المزن
أنت وهم.. نشيدُ الحب.. والحزن
نهايته.. بدايتُه.. على الكون..
ونحن هنا- على الأحقاف-
وحمّى الأهل والدار
ومنك، إليك، أسفاري..
يسألني نزيف جبينك المصلوب
إكليلاً من الغار
ولكن.. آه لو تدرين
ذاك العام لم نقلع مواسمنا
وكل حصادنا الصيفي
كان طحالب العار
وأنت، على بهيم الليل
وحدك كنت دالية الصباح
وكنت أغنية من النار
أردّدها على سوط الخليفة..
آه.. أحدس يا ملاك الموت
من سيكون زُواري..
أحس حفيف أجنحة
تحلق فوق أسراري!!..
ونحن، على أرائكنا
نمدّ الأه.. تلو الأه..
ونحيي، للصباح، ولائم العُرقِ..
وأنت، هناك..
يشمخ فيك وجه الله
وجرحك ريشة الشفق
وأنت جزيرتي..
وأنا إليك سفينةُ الأفقِ
وأنت قصيدتي..
وأنا نزيف الحبر في الورق
وأنت عناقُ أخيلتي
وأنت قلادةِ العُنقِ
وثغرك حبّتا كرزٍ
وعطرك غابتا حبقِ
وصدرك جرتا عسل
وشعرك نخلتا عبقِ
ونام على يديك الدهر..
نام البحرُ
واستيقظت فوق وسادة الأرقِ
لأنك أنت صقرٌ فريشُنا
وبقية الرمقِ
لأنك أنت آخر رايةٍ لم تهوِ
فاصطفيكِ..
لأنك أنت طير البعث
فاحترقي..
وعبر رمادك انبثقي!!..
حليبك في دم الشهداء
دالية تدوّب على لظى ثَغرك
وهم ساقوك، حتى الصبح
ما شربوه من خمرك..
وأنت وهُم.. عناقُ الموج والرمل..
وأنت وهُم.. مَزاج الدمع والكحل..
وأنتِ وهُم.. بلا أهل..
بلا أهل..
بلا أهلْ!!..
فشُقّي ثوبك العربيّ عن سترك
وثَقّبي صدرك المسبيّ في الليل
وناديني.. يأعلى الطور..
نسهر ليلة البستان في حجرك
لأنّ هناك وعد الصبح
ينهضُ.. من دجى قبرك!!..

أغنيات وثقت قصصاً عن البطولة والمقاومة

بعضها ارتبط بشكل مباشر بثقافة فلسطين وذاع صيته عربياً ورسخ في الذاكرة

مايا سلامي

ارتبط العديد من الأغنيات بقصص واقعية حدثت في أزمنة وأمكنة مختلفة، فغدت كوثيقة تناقلتها الأجيال التي أضافت لها في كل مرة شيئاً جديداً من روح العصر وما يمر به من أزمات إنسانية متلاحقة.

ولطالما كانت القضية الفلسطينية بكل ما فيها من قصص مقاومة وبطولة مصدر إلهام لعدد من الشعراء الفلسطينيين والعرب الذين ترجموا تلك الحكايات في قصائدهم التي تحولت فيما بعد إلى أغنيات حملت مزيجاً من المشاعر المتناقضة بين القهر والفخر، ذاع صيت بعضها محلياً وعربياً ورددناه لسنوات طويلة من دون أن نعلم أسرارها، وبعضها الآخر ارتبط بشكل مباشر بثقافة فلسطين وبقي في نطاق أغنياتها الشعبية التي ما زالت حتى يومنا هذا تحتل مكانة واسعة في المناسبات الوطنية.

وحدن بيبقوا

ولعل أشهر تلك الأغنيات «وحدن بيبقوا» التي غنتها السيدة فيروز وتأثرنا منذ الصغر بكلماتها ولحنها الجميلين اللذين يلامسان المشاعر بسرعة، ولكن قلة منا عرفوا أنها تخفي قصة حزينة جاءت على لسان الشاعر اللبناني طلال حيدر الذي اعتاد شُرب فنجان قهوته الصباحي والمسائي على شرفة منزله المطلة على غابة تقع على مقربة من منزله، وبعد فترة من الزمن بدأ يلاحظ دخول ثلاثة شبان إلى الغابة في الصباح، وخروجهم منها مساءً، وكانوا كلّما دخلوا وخرجوا يسلمون عليه.

وكان هو يتساءل في سره: ماذا يفعل هؤلاء الشبان داخل الغابة من الصباح إلى المساء؟إلى أن أتى اليوم الذي ألقى فيه الشبان التحية على طلال حيدر في الصباح ودخلوا الغابة من دون أن يعودوا في المساء، فانتظرهم طلال وقلق عليهم، إلى أن وصله خبر يقول: إن ثلاثة شبّان عرب قاموا بعملية فدائية وسط الكيان الصهيوني، وعندما شاهد الشبان الثلاثة فوجئ أن الشبان الذين استشهدوا هم أنفسهم الشبان الذين اعتاد أن يتلقى التحية منهم في الصباح والمساء.

وعُرفت تلك العملية بـ«عملية الخالصة»، التي نُفذت في مستوطنة كريات شمونة، شمال فلسطين، في صباح ١١ نيسان ١٩٧٤، وكان أبطالها من مقاتلي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة، وهم الفلسطيني منير المغربي (أبو خالد)، والحلبي السوري أحمد الشيخ محمود، والعراقي ياسين موسى فزاع الحوراني (أبو هادي). وجاء في كلمات الأغنية:

وحدن بيبقوا متل زهر البيلسان
وحدن بيقطفوا وراق الزمان
وبيسكروا الغابة
وبيضلهون متل الشتي يدقوا على بوابي

من سجن عكا

ومن الأغنيات التي خلدت بطولة الشباب الفلسطيني في مواجهة الاحتلال كانت أغنية « من سجن عكا» التي تحدثت عن واقعة إعدام الشهداء عطا الزير وفؤاد حجازي ومحمد جمجوم على يد الانتداب البريطاني عام ١٩٣٠، وبات ذلك اليوم يعرف باسم «الـثلاثاء الأحـمر» واتشحت فلسطين بالسواد حداداً عليهم، فقد مثل هؤلاء الشهداء أنبل صور الشجاعة وواجهوا الموت بمسألة منقطعة النظير، حيث أقدموا على فك قيودهم بأنفسهم وساروا إلى المشنقة بخطا واثقة فكانوا يعلمون أنهم على صراط الحق، وحاول كل واحد منهم أن يتم إعدامه قبل صديقه حتى لا يشعر بالحسرة عليه، وكان لهم دور كبير في انطلاق ثورة البراق التي عمت أنحاء فلسطين فيما بعد ضد الغزو والهجرة الصهيونية إلى البلاد.

وسجّلت هذه الأغنية انطلاقة الأغنية المقاومة في فلسطين المحتلة، وهي من مرثية الشاعر الشعبي نوح إبراهيم، وأحيتها «فرقة العاشقين الفلسطينية» بصوت الفنان الراحل حسين المنذر، وتتميّز هذه الأغنية بأنها من الأغاني الوطنية الفلسطينية التي يظهر فيها الحزن واضحاً جلياً لا تخطئه الأذن ولا القلب، وتقول:

من سجن عكا طلعت جنازة محمد جمجوم
وفؤاد حجازي
جازي عليهم يا شعبي جازي المندوب
السامي وربعه عموما
محمد جمجوم ومع عطا الزير فؤاد حجازي
عز الذخيرة
أنظر المقدم والتقاديري بحكام الظالم
تيعدمونا.

يا يمه في دقة عبابنا

أغنية يا «يمه في دقة عبابنا» من الأغنيات الشعبية الفلسطينية الشهيرة التي تتغنى بحادثة حقيقية حصلت في السبعينيات في إحدى قرى الجليل وبطلها فدائي اسمه بلال. وتروي قصتها أن بلال نزل إلى القرية ليلاً ليزور بيته وأمه التي تركها حين غادر إلى لبنان، وكان قد تسلّل إلى الأراضي المحتلّة لتنفيذ عملية ضد الاحتلال مع مجموعته التي تعرف بـ«مجموعة ٧٧٧» والإقامة في جبال الجليل.

وغابت أخبار بلال لسنوات طويلة عن أهله فظنوا أنه ارتقى شهيداً في معارك جنوبي لبنان في قلعة الشقيف وقد أقاموا له مأتماً وتقبلوا التعازي، وفجأة دق الباب وسألت والدته مَنْ؟ فقال: بلال، لم تصدّقه، ظنت أن قوات الاحتلال تتصب لهم كميناً لتكتشف من يتعاون مع الفدائيين. ردت: «انقلع».

ترك الباب وقصد بيت الجيران وحدثهم بما حصل، وأخذهم معه، وشرحوا لها الموضوع. فقتحت له الباب، وبدل أن تحضنه قبلت «الكلاشنكوف» الذي يحمله، فكانت الأغنية المعروفة للشاعر والفنان، المرحوم «أبو عرب»:

يا يمه لي دقه ع بابنا × يا يمه هاي دقة أحبابنا

يا يمه هاي دقة قوية × يا يمه دقة فدائية

يا يمه عشاق الحرية × يا يمه بيدقوا ع بوابنا

يا يمه هدولا الغوالي × يا يمه طلاب المعالي.

برجك اليوم 11/14

نجلاء قباني

الحمل

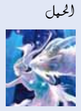

لاتسمح لمن حولك أن يستفزك بسهولة، دافع عن أفكارك بحماسة لكن بهدوء وقد تميل إلى حسم وضع عاطفي أو عائلي واتخاذ خطوات جديدة في حياتك فاليوم للتنقلات.

عاطفياً: ستخف وتيرة العصبية وستكون أفضل باتخاذك لقرارات صحيحة واللقاءات الحميمة والمصالحات التي تحيط بك.

الثور

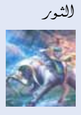

نصيحة مخلصة تسمعها من صديق أنت تحترمه فاسمع النصائح واعمل بها أنت تحتاج إلى قرض أو تناقش في قصص لها علاقة ببيع أو شراء وتدفع أقساطاً متأخرة.

عاطفياً: اليوم للأفراح العائلية والشخصية فقد تفكر بارتباط أو تقرر الدخول في أمور جديدة.

الجوزاء

قد تصطدم مع الشركاء لأنك تضع قائمة من الطلبات فلا تنفذ منها أي شيء وقد تشعر أحياناً أن من حولك من زملائك يترقبون تصرفاتك وهذا شعور بالتأكيد سيضايقك. عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فتجنب هذا الشهر اللوم والعتاب والدخول في صراعات عقيمة فهذه الفترة ليست للقرارات وخاصة قراراتك العشوائية التي تأخذها من دون تفكير أو دراسة كافية.

السرطان

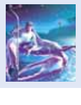

قد تشعر أنك متأخر أو أنك تحاول اليوم بالقيام بشيء جديد للتعويض عن الذي فاتك تشعر أنك تراوح مكانك في المجال المهني فحاول أن تكون خلاقاً لتخرج من الروتين.

عاطفياً: استفد من هذا اليوم لأنه سيكون الأفضل العلاقات والتعارف والتحضيرات الإيجابية لأفراح.

الأسد

تغيير حاسم في علاقتك العاطفية أو في النقاشات الجدية للوصول إلى صيغ للتفاهم وأنت محترف في أن تعرض حججك المنطقية على طاولة الحوار لتقنع المحيط.

عاطفياً: قد تأخذ قرارات حاسمة تخص أموراً مستقبلية سواء كانت قرارات بإنهاء أم بالبدء في علاقات.

العذراء

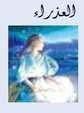

حاول أن تنهي أمورك لأنك قد تصطدم بمشاكل تعيق تفكيرك ومساعيك، الأمور العائلية ستشغلك عن المواضيع العاطفية إن لم أقل أنها قد تتداخل.

عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فكن متأكداً مما يحصل وخاصة أنك قد تفاجأ عندما تعلم بكذب أو احتيال قام به أحد المقربين منك، ما يجعلك تصاب بخيبة أمل وهذا ما تكرهه (أي الكذب).

الميزان

هذه فترة تمتحد الطاقة والحيوية والإرادة الحرة للوصول إلى تحقيق أمنية مع أنك ستحتاج إلى تثبيت مركزك وحماية ممتلكاتك لتنجز أعمالك بسرعة وبثقة.

عاطفياً: قد تفرح لارتباط أو خطبة أو مصالحات مع أشقاء أو أهل اختر من تستطيع الاعتماد عليه الذي يستطيع منحك الأمان.

العقرب

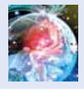

ستكثر موجات الصرف المفاجئ أو التفريط المفاجئ من دون أسباب ما يسبب ندماً وقد يجعلك تثق في من حولك مادياً لتكتشف خطأك لذلك وجب التحذير من تصديق الوعود.

عاطفياً: اليوم جيد للتعارف أو للسفر أو للمصالحات أو لتغير حياتك المستقبلية لو كان وضعك يسمح.

القوس

تستيقظ مبكراً لتعالج بعض الأمور المهمة ولتعتمد أسلوباً جديداً من الثقة بالنفس وتبادر تجاه حلول لبعض المشاكل المعلقة أو المؤجلة من الأيام السابقة فاليوم للحركة.

عاطفياً: أمورك العاطفية جيدة فأنت مرتاح وهادئ وأنت في الأفضل لتمتين علاقتك بمن حولك وتتعرف على أصدقاء جدد.

الجدي

أنا واثقة أنك في الحدود الدنيا ستكون عصبياً أو مستفزاً أو متضايقاً وقد تكون نافد الصبر فاهدأ ولا تخسر أحداً فمن لا يلزمك اليوم قد يلزمك غداً.

عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة فابتعد عن العصبية ولا تكابر على ألمك بالعكس وضح الأمور وخاصة إذا شعرت أنك قد تختلف مع الآخرين بسبب سوء تفاهم أو أزمة قلة ثقة.

الدلو

أجواء عذبة واتصالات خارجية أو مشروع سفر أو انتشار أو ترويج أو صداقات جيدة وقد تسعدك حفلات ومناسبات أو صداقات مزدهرة واجتماعات منوعة أو أجواء مفرحة.

عاطفياً: أمورك العاطفية جيدة وهذا يجعلك مشرقاً وفرحاً رغم أنك كتوم إلا أن الحب الحقيقي ينمحك سعادة داخلية.

الحوت

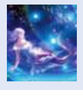

سيطر على مشاعرك السلبية وتأكد أن من حولك لهم نقاط ضعف ونقاط قوة، فاستفد منهما معاً، فالمعادلة هذا اليوم تنازلات بسيطة والتحلي بهدوء أعصاب مهما سمعت من أخبار أو مهما كانت هناك مضايقات.

عاطفياً: أمورك العاطفية متعبة وقد تشتاق إلى لشريك وتشعر بصعوبة في الاتصال به.